



ديناميت Wall Street

ملحمة Wall Street

لم أخف يوماً من المتفجرات. من الناس فقط.
الديناميت، على الأقل، صادق. تشعل الفتيل. وتعلم أن شيئاً ما يوشك أن يختفي.
الناس غير ذلك. يتسمون. يصافحونك. يصفقون. يهتفونك.
ثم يقضون عشرين سنة يبنون بهدوء حقل الغام تحت قدميك.
والغريب أن أحداً لا يعلبك هذا وأنت شاب.
يعلّمونك الجهد. الانضباط. الصبر. التضحية. الفضائل المقدسة للحضارة المحترمة.
لكن أحداً لا ينبّئك إلى أن العالم يقوم على التأويلات لا على الوقائع.
ينجح رجل. فيقول عشرة أشخاص إنه عبقرى.
يخسر الرجل نفسه كل شيء. فيكتشف العشرة أنفسهم أنه كان محتالاً منذ البداية.
لم يتغير شيء سوى اتجاه الريح.
تعلمت متأخراً جداً أن السمعة مستأجرة. والطبع مملوك.
الأولى قد تختفي قبل الفطور. والثاني يبقى بعد الإفلاس.
أغلب الناس يقضون عمرهم كله في حماية ما يمكن أن يؤخذ منهم وإهمال ما لا يمكن.
نموذج أعمال مدهش إن كنت تباع الأوهام.
ذات صباح تستيقظ. لا روحياً. لا فلسفياً. جسدياً.
تنظف أسنانك. تعدّ القهوة. تنظر إلى الخارج. وجأة ينهار البناء المعرفي كله.
لا لأنك اكتشفت حقيقة جديدة. بل لأنك كفت عن تصديق الأكاذيب القديمة.

السياسيون باقون. الخبراء باقون. المؤسسات باقية. الأنبياء باقون.
أصحاب المليارات باقون. التلفزيون باقٍ. الإنترنت باقٍ. السوق باقية.
كل شيء باقٍ. إلا موافقتك على المشاركة في الهلوسة.
عندئذ تبدأ المشكلات.
فالمجتمع يغفر كل شيء. الفشل. الدين. الطلاق. الجنون. حتى الجريمة.
لكن شيئاً واحداً لا يغفره بسهولة أبداً: إنساناً لم يعد يحتاج إلى إذن.
في اللحظة التي تكفّ فيها عن طلب الاعتراف، تخسر صناعات كاملة زبونها.
في اللحظة التي تكفّ فيها عن طلب الموافقة، تفقد تراتبيات كاملة مبرر وجودها.
في اللحظة التي تكفّ فيها عن طلب هوية، تخسر قبائل كاملة مجنّداً.
عند هذه النقطة يتوتّر الناس. يتوتّرون كثيراً. لأن الحرية مُعدية. أشدّ عدوى من الخوف بكثير.
الرجل الخائف يصنع رجلاً خائفاً آخر. الرجل الحريص يصنع اللايقين.
لا أحد يعرف ما الذي سيفعله الرجل الحر بعد ذلك. ولا حتى الرجل الحر نفسه. هو بالذات.
لهذا تفضّل كل حضارة، في سرّها، الناس الذين يمكن توقّعهم.
مستهلكون متوقّعون. ناخبون متوقّعون. مديرون متوقّعون. متمرّدون متوقّعون. ثوّار متوقّعون.
الثورة المتوقّعة أسلم استثمار اخترع على الإطلاق.
الديناميت الحقيقي شيء آخر. إنه فكرة. فكرة واحدة.
فكرة تدخل العقل وترفض أن ترحل. فكرة تطرح سؤالاً غير مقبول.
فكرة تجعل كل جواب سابق يبدو مربياً.
ومتى وصلت تلك الفكرة، فلا عودة.
قد يبقى المبنى واقفاً. قد يبقى الأثاث على حاله. قد تبقى الوثائق مرتّبة في ملفاتها.
لكن الأساس زال. الانفجار كان قد وقع. في صمت. في الداخل.

وأشدّ ما في الأمر رعباً؟ أن أحداً لم يسمعه سواك.

فرديناندو فريغا

BLADEFREGA

ديناميت